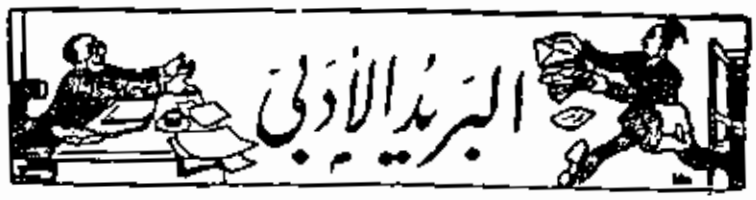

نصيب العلم :

كان من صدى الإعلان فى « الرسالة » عن كتاب عالم الذرة ثلاث رسائل لا أكثر من بعض القراء . وصاحب إحداها يفرض على جزاء لقراءته مقالاتى فى الرسالة أن أقدم إليه كتابى مع الشكر ، وأنا أقول له :

أنت غال وقد طلبت رخيصاً ينفع العلم إن تنله ثميناً

وصاحب الرسالة الثانية يطلب الكتاب هدية لا قيمة لها جزاء تدلله فى حبى . وقد حبر بهذا الكتاب أربع صفحات . وأنا أظنه من حسناء ، حتى كدت أعتقد أنى أخو أفروديت أو ابن ثيتيس ؛ أو أنى كيوبيد بعينه على الرغم من أنى « بلغت من الكبر عتياً » والسنون « قد أحوجت سمعى إلى ترجمان » وما انتهيت من تلاوة الرسالة حتى رأيت نفسى أمام مرآة .

وصاحب الرسالة الثالثة قصم رقبة ضنى بأن استشفع بسيد بلاد فاروقنا المعظم لأنه كتبها فى يوم العيد السعيد . وإنه أرجو من حضرات القراء الكرام أن يعلموا أنى أغلقت باب الشفاعات لكيلا يستشفعوا بالنبى الكريم وبالمسيح الرحيم . وخير لهم أن يتشفعوا بالقروش العشرين إن كانوا يرون أن كتابى يساوى هذا الثمن السقيم ، والحمد لله رب العالمين .

فؤاد الخراز

٢ ش البورسة الجديدة بالقاهرة

وجود أو وجود واحد :

لا شك أن آفة الشرق هى الغرب ، وأن داء الشرقيين المستفحل هو إيمانهم بأن كل ما أتى به الفكر الغربى من مذاهب هو المثل الأعلى الذى ينبغى أن يحتذيه كل فكر ينشد الكمال . ونحن العرب نتخذ دائماً من المعايير الغربية مقاييس أفكارنا . فإن خالفتها فهى مبهمة غامضة ، وإن سارت على منوالها فهى واضحة جلية ، ولا نفكر مطلقاً فى أن نعتز بنتاج الشرقيين بل ننظر إليه من خلال المذاهب الغربية التى تحول دون فهمه فهماً صادقاً ، ونفسد أحكامنا عليه .

وها هو الأستاذ نقولا الحداد لم يستطع أن يفهم مضمون حقيقة وحدة الوجود عند طاغور؛ لأن ذهنه مشبع بمذاهب الغربيين فى هذه الحقيقة . ولا يدرى كيف يحدد موقف طاغور بالنسبة للذين يقولون بأن أصل الوجود جوهر واحد سواء أكان روحياً أو مادياً ، أو بالنسبة للذين ينادون بثنائية الوجود أو يعتقدون بجوهرين هما الروح والمادة ، لأنه تعود أن ينسب كل رأى إلى فكرة غربية مماثلة لها ، ويقارنها بها ؛ فإن لم يجد لها نظيراً صعب فهمها عليه . ولذلك يجب علينا جميعاً أن نتعود فهم الأفكار الشرقية وعقولنا خالية من النظريات الغربية ، فإنها تشتت أذهاننا وتبلبلها فتأسرها فى مكان ضيق لا تقدر أن تدرك ما خارجه ، وإن حاولت عجزت عن فهمه .

وكما قال الأستاذ الحداد أن يكون منبت حقيقة وحدة الوجود هو الشرق ، ولم يكن أول قائل لها هو اسبينوزا ، فأخذ يستوضح عن صلتها بالدين الهندوكى وتناقل عن أن أفلوطين قد تأثر بأفكار الهنود فى وحدة الوجود الروحية ، وأنى من قبل اسبينوزا بمذهب فيها ، قد تأثر به اسبينوزا نفسه كما تأثر ببعض المتصوفين الإسلاميين الذين تكاد كل نظرياتهم فى التصوف مستمدة من صلب التعاليم الهندوكية .

أما كيف عرف الهنود تلك الوحدة فيرجع ذلك إلى عهد يبعد فى القدم إلى أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يؤمنون بآلهة كثيرة تمثل مختلف قوى الطبيعة وشتى مظاهر الكون . ويوضح « الفيدا » وهو كتاب هندى مقدس لا يعرف واضعه أو واضعوه — ماهية كل إله ، ويذكر الأدعية التى ترفع له ، ويعين القرابين التى تبذل من أجله ولا يشير كتاب الفيدا إطلاقاً إلى حقيقة وحدة الوجود التى جاء بها « اليوبانيشاد » من بعده وهو كتاب هندى دينى آخر مجهول مؤلفه أو مؤلفوه . يضع فلسفة الهنود الهندوكية فى وحدة الوجود ، ويضم كافة الآلهة الهندية فى إله واحد يشملها جميعاً ويحل فيها ، وهو براهما الذى يستمدون وجودهم من وجوده ، ولا يعبدهم الهنود إلا لأنهم آلهة يتجلى منها الإله الأكبر « براهما » الذى يكمن فى كل شىء فى الكون . وإن مظاهر عبادة الحيوان وتحريم قتله ، وتقديس الأشجار ومنع قطعها ، والتبرك بمياه الأنهار ، يبين لنا كيف يعبد الهنود الظاهرات الطبيعية التى يستقر فيها براهما .

وتناول طاغور هذه الحقيقة بتفكيره الشاعري وعرضها بخيال الفنان الملهم في أسلوب روحي يفيض عذوبة وحلاوة . فإن اعترى أفكاره عند تأملها عقلياً بعض الإبهام ، فلا يجب أن نلومه لأنه شاعر قبل أن يكون فيلسوفاً ، وما أراد لنفسه أن يكون في يوم من الأيام فيلسوفاً ، وإن ارتضى أن يكون شاعراً حكيماً . فهو ليس صاحب مذهب محكم التصميم يستند في تفسيره على منهج عقلي منظم . ولم يخط كتباً فلسفية قط . وإن حاولت أن أستخرج من كتابه « Sadhana » أصول فلسفة أعالج فيها المشاكل الميتافيزيقية والأخلاقية والفنية التي اشتغل بها طاغور بطريقة لا تمت لطرق الفلسفة بصلة ، فإنما ذلك رغبة مني في أن أعرض أفكار حكيم في أسلوب فلسفي لا غير .

لقد زعم طاغور أنه لا يوجد إلا حقيقة واحدة لا تحتمل التفرقة بين خالق ومخلوق ، وجودها روحي ، وأن ما يبدو في الكون من مادة فهي مظهر خادع يخفي براهما المستتر داخلها ؛ لأن براهما حين امتلأ بالسرور — ذلك السرور الذي لم يبين لنا طاغور كنهه ، أو يذكر سبب نموه في براهما حتى امتلأ به — فصدرت عنه الخليقة لم ينفصل بينه وبينها فصلا تاماً ، وإنما كون فيها وأعطى للانسان فرصة للعودة إلى منبعه الذي انبثق منه ، بمنحه حرية التصرف في شئون دنياه ، وتقييده بقانونه الأخلاقي ومن يقطع الصلة بين براهما والمخلوقات يقع في «المايا» أي الباطل الذي يخيل إليه أن الباطل مستقل عن المخلوقات بينما براهما يتجلى في الكون في صور القوانين التي يتقيد بها هذه المخلوقات فتخضع روح الإنسان للقوانين الأخلاقية ، ويخضع جسده وجميع محتويات الطبيعة الأخرى للقوانين الكونية . ومعرفة هذه القوانين معرفة لله المتحد بكل شيء . إلا أنه لا يكفي للانسان أن يعرف هذه الوحدة ليصل إلى الكمال الروحي ، وإنما يجب عليه أن يعرفها ويحياها معاً ويحس ببراهما الذي يوجد في كل جزء من أجزاء الكون إحساساً حياً ، تنطق به كل حركاته من أفعال وأقوال ويدمج شعوره بفرديته فيها جميعاً بحيث لا يستطيع أن يميز بين وجوده وبين سائر الموجودات .

وإذا أراد الأستاذ نقولا أن يعرف المزيد وكيف يفوز الإنسان بهذه الحياة فإني أرجعه إلى ما سبق أن نشرته في مجلة الرسالة عن طاغور وما سأنشره قريباً إن شاء الله عن فلسفة طاغور الأخلاقية والفنية .

عبد العزيز محمد الزكي

ظهرت الطبعة الثانية للجزء الأول من كتاب :

الجانب الالهي من التفكير الاسلامي

تأليف : الدكتور محمد البهي

خريج جامعتي برلين وهامبورج
وأستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين

١ — تزيد عن الطبعة الأولى بالتفصيل في بعض الموضوعات
٢ — وبالبساطة والتوضيح في أسلوب العرض
٣ — وبجودة الطبع وحسن الإخراج

سعر النسخة ٤٠ قرشاً

ملتزمو الطبع والنشر:

أصحاب دار إحياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه

ص . ب : ٢٦ الغورية — ت : ٥٠٨٥٦ — س ت : ١١٤٦٠